الزواج في بلاد الصين
من خلال كتب الجغرافية والرحلات العربية الإسلامية في القرون الوسطى

د. طارق فتحي سلطان
قسم التاريخ / كلية التربية
جامعة الموصل

الاستلام	القبول
٠٢ / ١٢ / ٢٠١٠	٠٥ / ٠١ / ٢٠١١

Abstract

The commercial relations between the Islamic countries and China confirm the first contacts, which were followed by cultural and scientifical relations. The merchants noticed carefully every thing in the Chinese society, and they enriched the geographers and travelers by these pieces of information about the Chinese society.

This research deals with Marrige in China as it described in Arabic Geographic sources in addition to some Historical sources (Arabic and non Arabic), which Shed lights on the customes in the Chinese society.

ملخص البحث

شكلت الصلات التجارية بين البلاد الإسلامية وبلاد الصين، حلقة من حلقات الإتصال والتبادل التجاري بين الطرفين، أعقبتها صلات ثقافية وعلمية، فقد تعرف التجار عن كثب على كل ما وقعت عليه أعينهم من ملاحظات ومشاهدات تخص المجتمع الصيني، وكانوا ينقلون هذه الروايات ويتداولونها فيما بينهم، ومن الطبيعي أن تنال هذه المعلومات إهتماماً من قبل الجغرافيين فضلاً عن الرحالة الذين نقلوا ملاحظاتهم عن المجتمع الصيني.

ويتناول هذا البحث الزواج لدى الصينيين من خلال كتب الجغرافية والرحلات العربية، وكيف تعامل المجتمع الصيني مع المرأة، وكيف تمّ السماح للمسلمين بالزواج من بنات الصينيين، ومصاهرة الأسر الصينية، وفق التقاليد الإسلامية، حيث تعلن المرأة الصينية إسلامها ومن ثمّ يتم الزواج بها من قبل المسلم.

واقتضت ضرورة البحث الرجوع الى عدد من المصادر والمراجع التاريخية، لغرض إكمال النقص في المعلومات التي أوردتها المصادر الجغرافية ، وبيان ما أهملته حول الزواج في بلاد الصين.

مقدمة :

قال دعبل الخزاعي[1] مفتخراً بقومه :

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو وباب الصين كانوا الكاتبينا

وهم جمعوا الجموع بسمرقند وهم غرسوا هناك التبتينا[2]

شكلت العلاقات ا لتجارية بين بلاد العرب وبلاد الصين القاعدة التي تشعبت منها علاقات علمية وثقافية واجتماعية دونتها مختلف المدونات التاريخية والجغرافية وكتب الرحلات العربية ، وتناولت فيها كل ماوجدوه من ثقافة أو عادات أو تقاليد أو قضايا تتعلق بالاقتصاد أو بالدولة ، ولهذا جاء هذا البحث ليقدم صورة عن حالة كتبها الرحالة والجغرافيين العرب ، وهو الحديث عن الزواج في بلاد الصين[3]

تشكل الأسرة اللبنة الأساسية في بناء المجتمع في الماضي والحاضر عند الامم، وتعتمد العلاقات الاسرية بشكل مباشر على معتقدات وعادات المجتمع نفسه ، وتتكون الأسرة في الأساس من الزوج والزوجة ، إنطلاقاً من قوله تعالى : ((يـأيـهـا الـنـاس اتـقـوا ربـكـم الـذي خـلـقـكـم مـن نـفـس واحـدة وخـلـق مـنـهـا زوجـهـا وبـث مـنـهـمـا رجـالاً كـثـيـراً ونـسـاءً واتـقـوا الله الـذي تـسـاءلـون بـه والأرحـام إن الله كـان عـلـيـكـم رقـيـبـاً))[4]

وكذلك الحال في المجتمع الصيني حيث تتكون الا سرة من الزوج والزوجة ، ومدى مشاركة الزوجة في مساعدة الرجل في ذلك الوقت ، واسهامها معه في تحمل أعباء المعيشة ، ودورها في تنشئة الأطفال والعناية بهم، لأنهم الاساس في بناء المجتمع في المستقبل.

لقد كان المجتمع الصيني في القرون الوسطى مجتمع اً زراعياً بالدرجة الأساس، تلحقه عدد من الصناعات المتعلقة بالزراعة مثل تربية دود القز وتصنيع أو تجميع خيوط الحرير منه فضلاً عن تربية الحيوانات للإستخدامات الزراعية أو المنزلية، وتربية الأطفال.

---

(١) دعبل الخزاعي:شاعر عباسي، ولد في الكوفة سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م، ثم انتقل الى بغداد حيث تثقف وعاش، توفي سنة ٢١٨هـ.عبد الكريم الأشتر: دعبل الخزاعي حياته وشعره، دار الفكر دمشق، ط/١، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م ص٦٥.

(٢) ابو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الاندلس للطباعة والنشر بيروت، ط /١، ١٩٦٥م، ٨٨/٢.

(٣) اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٣م، ١/١٤١-١٤٢.

(٤) القرآن الكريم،سورة النساء آية ١.؛ول دايريل ديورانت : قصة الحضارة، ترجمة : ؟؟؟؟؟؟؟؟؟ بيروت دار الجيل ط /١ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م،١/٦٦-٧٨.

ونبدأ من أول مراسيم الزواج، ألا وهي الخطوبة.

اختيار الزوجة ومراسيم الخطوبة:

يدين أغلب المجتمع الصيني بديانتين رئيستين هما الديانة البوذية[٥] والكنفوشيوسية[٦]، وهما الديانتان الوضعيتان اللتان رسمتا شكل العلاقة في المجتمع الصيني ، فبعد بلوغ الشاب مبلغ الرجال يبدأ هو وعائلته بالبحث عن فتاة المستقبل، وتكون المسألة في الريف أكثر سهولة ، إذ أن البحث يتم في القرية ، أو في القرى المجاورة لقريته ، ويحبذ في الزواج أن يكون هناك تقارب في المستوى المعاشي للعائلتين اللتين تودان المصاهرة، وتتم الخطوبة في حفل عائلي بهيج ، يتم فيه تبادل الهدايا بين عائلة العروسين، وبعد أن تتم مراسيم الخطوبة يلتحق الشاب بالخدمة العسكرية، في هذا الوقت تقوم أسرة العروس بإكما ل (جهاز) إبنتهم، بالتعاون مع عائلة العريس . وبعد أن يتسرح الشاب من الخدمة العسكرية، تكون الاسرتان قد أكملتا تقريباً معظم جهاز العروسين.

أما في المدن فيبدو أن الأمور تكون أكثر صعوبة من القرى ، ونحن نتكلم الآن عن فتر ة القرون الوسطى، فيتم البحث عن العروس في محلات المدن ، ويراعي أيضاً مركز العريس المالي والإجتماعي ، ولكن للقاعدة شواذ ، إذ قد يكون للجمال دوره في انتقاء عروسة من عائلة فقيرة. وقد وصف سكان الصين بالجمال وسواد الشعر ((وأهل الصين أهل جمال وطول وبياض نقي مشرب بحمرة وهم أشد الناس سواد شعور))[٧]

ويبدو أن هذا الوصف قد لوحظ من قبل الجغرافيين قبل الغزو المغولي للصين ، اذ تصاهر المغول مع أهل الصين لفترة جاوزت المائة سنة تقريباً وغيروا الكثير من طبيعة سكانها [٨].

ويفضل أهل الصين الزواج من غير الأقارب و((أما المناكح ببلاد الصين وهم شعوب وقبائل ... ولا يزوج أحد منهم قريباً ولا ذا نسب ، ويتجاوزون في ذلك حتى لاتتزوج قبيلة في مثلها... ويدعون أن ذلك أنجب للولد))[٩]، ((وأهل الصين شعوب وقبائل كقبائل العرب وأفخاذها وتشعبها في أنسابها، ولهم مراعاة لذلك وحفظ له ، وينتسب الرجل منهم الى خ مسين أباً ... وأكثر من ذلك وأقل ، ولا يتزوج أهل كل فخذ من فخذه ، مثل أن يكون الرجل من مضر ويتزوج في ربيعة، ومن ربيعة فيتزوج من مضر ، ومن كهلان فيتزوج في حمير ، ومن حمير ويتزوج في كهلان، ويزعمون أن في ذلك صحة النسل وقوام البنية، وأن ذلك أصح للبقاء وأتم للعمر))[١٠].

---

(٥) البوذية: احدى ديانات الهند، نقلها الرهبان الهنود الى بلاد الصين.أبكار السقاف: الدين في الهند والصين وايران، مؤسسة الانتشار العلمي، بيروت، ط/١ ٢٠٠٤، ص ٦١.

(٦) الكنفوشيوسية: الديانة الرئيسة في الصين، وتنسب الى كونفوشيوس.السقاف: الدين في الهند والصين وايران ص ١٤٧-١٥٢.

(٧) سليمان التاجر: رحلة سليمان التاجر ،مطبعة دار الحديث، بغداد، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م،ص ٥٢.

(٨) طارق فتحي سلطان: العرب والصين في القرون الوسطى، مطبعةالعلا، الموصل، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، ط/١، ص ٥٩-٦٣.

(٩) ابو الحسن السيرافي: رحلة السيرافي الى الهند والصين واندنوسيا، مطبعة دار الحديث بغداد ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، ص ٩٣.

(١٠) المسعودي: مروج الذهب ١/١٥٥-١٥٦؛محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس مطبعة هيرلبرغ، ط/٤، بيروت ١٩٨٤م ص ٣٧١.

هدية الخطوبة

كما هو معروف في كل بلدان العالم في القرون الوسطى وفي الوقت الحاضر، لابد وأن يقدم العريس لعروسته هدية مناسبة في الخطوبة ، ((وهديتهم من المال على قدر الإمكان))[١١]، ((وإذا ما تمّ الإختيار تهادوا ثم تهانوا))[١٢]، وعادة ما تكون من النفائس في ذلك البلد وعلى قدر الطاقة، والغالب هو مقدار معين من الذهب أو الفضة ، وتختلف الهدية في الريف عنها في المدن ، وربما يكون بعضها عبارة عن عدد من القطع الحريرية ، لكي تتخذها العروس ملابس لها عند الخطوبة والزفاف أو بعده ويحضر حفلة الخطوبة أهل العروسين فضلاً عن المدعوين لحفلة الخطوبة من الأهل والأصدقاء والجيران في المدينة أو القرية على حد سواء.

المهر

تختلف قيمة المهر من منطقة لأخرى ، ومن وقت لآخر في بلاد الصين بحسب العادات المتبعة ونوع العملة السائدة، ويكون المهر في المدن عادة ، عبارة عن عدد من القطع النقدية أو الذهبية، وكما قلنا فإن المهر تختلف قيمته تبعاً لمكانة العروسين الاجتماعية والاقتصادية . وإذا تزوج الإمبراطور بمهر فمن الطبيعي أن يعطي العريس عروسته مهراً معيناً ((أما هديتهم من المال على قدر الإمكان))[١٣]، وكان الودع ، وهو نوع من الخرز الطبيعي ، (وهي من الأحجار الكريمة) يقدم كمهر في بلاد الهند والصين[١٤]، أو أي شيء آخر يتفق عليه بين أسرة العروسين ، وربما تكون بتخصيص منزل مستقل للعروسين هو عبارة عن غرفة في الريف أو عدد من الغرف في المدينة، أما في الريف فيقدم المهر على شكل قطع نقدية ذهبية أو فضية أو عدد من القطع الحريرية أو ربما المواشي فهم ((يعرضون لزوجاتهم بائنة من ماشية وعبيد ومال))[١٥]، لتستبدل في السوق لإكمال تجهيز العروس.

ويتم عقد القران بين الزوج والزوجة في مكاتب الدولة الرسمية ، أما في القرى فيسجل لدى مسؤول القرية (المختار) الذي يؤشر عنده الزواج وتاريخه ومقدار المهر ، فضلاً عن قيامة بتسجيل المواليد والوفيات من الإناث والذكور . وعندما يبلغ الصبي سن الثامنة عشر من العمر ، يبلغ مسؤول القرية (المختار) الدولة ببلوغه سن الرشد ، لتفرض عليه الضريبة، وهي مقدار من المال (عيناً أو نقداً) يقدمه الشخص للدولة ، والجزية كانت تفرض على

---

(١١) التاجر: الرحلة ص ٥٤.

(١٢) التاجر: الرحلة ص ٥٥.

(١٣) التاجر: الرحلة ص٥٥؛ ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ط/١ ١٩٩٤م، ٢١٢/١..

(١٤) وهي ضريبة الرؤوس (الباحث).

(١٥) ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٧م ص ٩٥.

جميع أهل الصين ماعدا النساء والصبيان ، فاذا ولد الولد فيهم يكتب وقت مولده ، ويوضع سجل الصبي عند أحد أقاربه (وهو عادة مسؤول القرية)[١٦].

و((وخراجهم من رؤوس الرجال يوجبون على كل رجل بالغ جزية ، لأنهم لايدعون رجلاً بغير صناعة))[١٧]، و((ليس على أرضهم خراج ، ولكن عليهم جزية[١٨] على الجماجم الذكور حسبما يرون من الأحوال، واذا كان بها أحد من العرب أو غيرهم اخذ منه جزية ماله ليحرز ماله))[١٩].

و((جميع من ببلاد الصين من أهلها ومن العرب ومن غيرهم لابد لهم أن ينتسبوا الى شيء يعرفون به))[٢٠]، مثل مدينة أو قبيلة أو قرية أو رئيس أو خصي وهكذا . و ((من ولد في رعيته أو مات يكتب في ديوان الملك، لئلا يخفى عليه أحد))[٢١]، و((إنما أحصي ما ذكرناه من العدد ، لأن ملوك الصين تحصي من في مملكتها من رعيتها، وممن جاورها من الأمم ، وصار ذلك ذمة لها في دواوين لها، وكتاب قد وكلوا باحصاء ذلك لما يراعون في حياطة من شمله ملكهم))[٢٢].

ولأهل الصين آداب حسنة ((للرعية مع الملك وللولد مع الوالد : فإن الولد لا يقعد في حضور أبيه ، ولا يمشي إلا خلفه ولا يأكل معه))[٢٣]، وإذا كان هذا حال الولد في العلاقة الأسرية، فلابد وأن تكون البنت في موقع مماثل للولد أو أكثر صرامة وشدة منه في علاقتها بأبيها أو إخوتها من حيث الأدب والإحترام والتقدير لأبويها وعائلتها ، ويشترط في اتمام الزواج موافقة الأب أو الشخص الكبير في الاسرة على هذا الزواج وتعد موافقته ضرورية وملزمة لكلا الطرفين، و((هم يعظمون أمواتهم ويطول حزنهم عليهم))[٢٤].

ويبدو أن هذه الآداب قد جاءت من الديانة الكنفوشيوسية التي تجل الآباء والاباطرة وكبار السن في العائلة. ويعفى الرجل من الجزية عند بلوغه سن السبعين من العمر، ثم يعطى من بيت المال مايكفيه للمعيشة ، ((واذا بلغ الشيخ سبعين الى الثمانين أجري عليه من بيت

([١٦]) التاجر: الرحلة،ص ٥١؛ شرف الدين بن طاهر المروزي: طبائع الحيوان، نشر مينورسكي، لندن ١٩٤٢م ص ١١-١٢.

([١٧]) احمد بن يعقوب بن جعفر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المطبعة الحيدرية النجف، ط/٤، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ١/١٨٢-١٨٣.

([١٨]) الجزية: وهي ماتعرف بضريبة الرأس وكانت معروفة في كل المجتمعات غير المسلمة، أما الجزية عند المسلمين فهي التي يعطيها غير المسلم للدولة الاسلامية لقاء الدفاع عنه وحماية اسرته واعفائه من الخدمة العسكرية واعطائه الحرية الدينية في ممارسة طقوسة ومعتقداته، استنادا الى الآية الكريمة ((حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)) سورة التوبة آية ٢٩.توفيق سلطان اليوزبكي: دراسات في النظم العربية الاسلامية،ط/٢، مطبعة دار الكتب جامعة الموصل ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

([١٩]) التاجر: الرحلة ص ٤٩.

([٢٠]) التاجر: الرحلة ص ٥٠.

([٢١]) زكريا بن محمد بن محمود القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٠هـ /١٩٦٠م ص٤٦.

([٢٢]) التاجر: الرحلة ص١٢.الحميري: الروض،ص ٢١٠. ونستطيع تتبع هذا الاجراء من خلال الاحصاءات الرسمية التي سجلتها الدولة عن اعداد القتلى في مدينة خانفو كانتون . أثناء ثورة بالشوا.

([٢٣]) القزويني: آثار ص ٤٦.

([٢٤]) اليعقوبي: تاريخ ١/١٨٣.

المال))[٢٥]، ويقولون أخذنا منه شاباً ونعطيه كهلاً [٢٦]، ((فاذا تعطل عن العمل بعلة أو هرم ، أنفقوا عليه من مال الملك))[٢٧]، أما النساء والرهبان فيعفون من ضريبة الراس ((الجزية))[٢٨]. ويبدو ان ضريبة الرأس لها صلة بالقتال بحيث يعفى منها الرهبان والنساء والاطفال حتى سن البلوغ.

وفضلاً عن قيام مسؤول القرية بتسجيل الزواج ، فانه يقوم مسؤول القرية أيضاً بتسجيل حالات الوفاة ، وهي أشبه بسجلات الأحوال المدنية في القرية أو المدينة في عصرنا الحاضر، مما قد يشكل سجلاً بسيطاً للتعداد في ذلك الوقت ، ويرجح أن هذا التعداد يتيح للدولة بيانات دقيقة عن عدد السكان وأماكن وجودهم ، وخاصة في أيام المجاعات أو الازمات أو الحروب، كما يتيح للدولة أيضاً رسم سياستها الإقتصادية بناءً على موارد الجزية المفروضة على السكان، فضلاً عن الموارد الأخرى، مثل عشور التجارة والتعدين وغيرها.

وتتألف القرية من ١٠٠ أسرة ويرأس القرية رجل يشترط فيه القرابة لسكان القرية وكبر السن ، وتقع على هذا الرجل أعمال إدارية كثيرة منها أعمال السخرة وأمور أخرى كثيرة لسنا بصددها الآن[٢٩].

وبعد تسجيل عقد الزواج لدى مسؤول القرية ، أو في مكتب المحلة في المدينة ، يصبح عقد الزواج نافذاً ورسمياً وتترتب عليه التزامات أخلاقية واجتماعية واقتصادية واعتباريةومالية [٣٠].

مراسيم الزواج:

من المعروف عن سكان الصين ، أنهم أناس مسالمون بطبعهم وسجيتهم ، فضلاً عن كونهم هادئين ، يأخذون الأمور ببساطة ودون تعصب أو تكلف ، وقد إنعكس هذا في حياتهم الخاصة أيضاً ، فهم يؤدون الأمانة وينصفون من أنفسهم من غير إحتياج الى حاكم أو مصلح، كل ذلك طبعاً وسجية وأخلاق خلقوا بها وطبعوا عليها))[٣١]، ((وأهل الصين يقتلون السارق ويؤدون

([٢٥]) الحميري: الروض ص٣٧٣.

([٢٦]) التاجر: الرحلة ص٥١-٥٢.

([٢٧]) اليعقوبي: تاريخ ١٨٣/١؛ التاجر: الرحلة ص٥٢.

([٢٨]) التاجر: الرحلة ص٥١؛ المروزي: طبائع الحيوان ص ١١-١٢؛

([٢٩]) Eberhard,Wolfram:A History of China, 4ed, London, 1977, p, 209.

([٣٠]) أدوارد بروي: تاريخ الحضارات،، ترجمة يوسف اسعد داغر وفريد.م. داغر، منشورات عويدات، بيروت،ط/١٩٦٥،١م. ٢٦٣/٣.

([٣١]) الادريسي:نزهة المشتاق،٤٣/١.

الأمانة))[٣٢]، و((أهل الصين أحسن الناس سياسة وأكثرهم عدلاً وأحذق الناس في الصناعات))[٣٣].

وهم ((يتناصفون بينهم ، وليس يذهب لأحد حق ولا يتعاملون بشاهد ولا يمين))[٣٤]، وهذه الصفات كلها تنعكس على حياتهم الخاصة والعامة وتعاملاتهم فيما بينهم ، حيث الصدق والامانة وحسن الخلق ، وهي تنعكس ايجاباً على الاسرة والمجتمع ، فقد سار الصينيون على مناهج في الحياة الخاصة والعامة ((واتخذ لهم بعض ملوكهم سياسة فرائض شرعية وعقلية ، وجعلها رباطاً ، ورتب لهم قصاصاً وحدوداً ومستحلات للمناكح ، وصلوات تقربهم الى معبودهم _ بوذا وكونفوشيوس _، إنما لاسجود فيها))[٣٥]، كما ورتب لهم ((قصاصاً في الأنفس والأعضاء ومستحلات مناكح يستباح بها النسوان (زواج)، وتصح بها الأنساب وجعلها مراتب ، فمنها لوازم موجبة يحرجون من تركها ، ومنا نوافل يتنفلون بها))[٣٦]، و((لأهل الهند والصين ... أخلاق وشيم في المآكل والمشارب والمناكح والملابس والعلاج))[٣٧].

وبعد عقد الزواج تقوم عائلة العروس والعريس باعداد متطلبات الزواج من أغطية وفرش ووسائد ، فضلاً عن قيام العريس كما قلنا ببناء غرفة لزوجته في بيت أهله ، وتزويدها بالمستلزمات الحياتية الضرورية من أدوات الغسل والشرب والطعام والطبخ ، فهم ((قوم يتخذون الغضارات[٣٨] والحرير الصيني))[٣٩].

وكانت بلاد الصين مشهورة بالغضار الجيد الذي يصنع في مناطق عديدة من الصين ، ومعظم أوانيهم منه[٤٠]، ((ولهم الغضار الجيد ويعمل منه أقداح في رقة القوارير ، يرى ضوء الماء فيه وهو من غضار))[٤١].

وكذلك الحرير الذي كان تتخذ منه ملابس الرجال والنساء وهو على درجات فما يلبسه الملوك والاباطرة ونساء الامبراطور أو نساء كبار رجال الدولة ، يختلف عما يلبسه عامة

---

(٣٢) الحميري: الروض ص٣٧١.
(٣٣) الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل : كتاب الختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، بيروت دار الجيل،١٩٦٠م/١٣٨٠هـ،١٢١/١.
(٣٤) التاجر: الرحلة ص ٥٠-٥١.
(٣٥) الحميري: الروض ص ٣٧١.
(٣٦) المسعودي: مروج الذهب ١٥٣/١.
(٣٧) المسعودي: مروج الذهب ١٩٥/١.
(٣٨) الغضار: وهي نوع من الاواني الصينية تصنع من الغضار وهو أشبه بالبلاستك لكنه من الطين يصنع بطريقة شغافة جدا ومنتشر في أسواقنا بشكل واسع .والغضار هو الطين الحر والمتخذة م ن الصفحة،ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور : لسان العرب،دار صادر دار بيروت،ط/٦ ١٩٩٧م/١٤١٧هـ، ٢٣/٥.
(٣٩) الحميري: الروض ص ٢١١.
(٤٠) الادريسي: نزهة المشتاق ٨٤،٩٧/١، ٢١٠.
(٤١)التاجر: الرحلة ص٤٦.

الناس(٤٢)، و((لباس أهل الصين الصغار والكبار الحرير في الشتاء والصيف ، فأما الملوك فالجيد من الحرير ومن دونهم فعلى قدرهم ، واذا كان الشتاء لبس الرجل السروالين والثلاثة والاربعة والخمسة واكثر من ذلك على قدر ما يمكنهم ... واما في الصيف فيلبسون القميص الواحد ونحو ذلك ولا يلبسون العمائم))(٤٣).

و((يلبسون خمسة أقبية . ثياب . وأكثر وهي تشف مافي صدرهم والذي هذه صفته من الحرير خام غير مقصور والذي يلبسه ملوكهم أرفع من هذا وأعجب))(٤٤).

والذي دعاني لذكر هذه الملابس ، هو أنها تعطى مثلها الى العروس ففي فصل ا لصيف يكون الجهاز أخف ويزداد عدد الفساتين في فصل الشتاء . و((يغطون رؤوسهم بشيء يشبه القلانس))(٤٥)، ويتركون شعورهم طويلة ((والسبب في تركهم الشعور على رؤوسهم أعني الرجال امتناعهم عن تدوير رأس المولود... فيسترها الشعر ويعفي عليها))(٤٦).

و ((لباس خدمهم ووجوه قوا دهم فاخر الحرير الذي لا يحمل مثله الى بلاد العرب عندهم ومبالغتهم في أثمانه))(٤٧)، وقد شُبِهِ أهل الصين في العناية بلباسهم وزيهم بالعرب ((وأهل الصين أجمل من أهل الهند وأشبه بالعرب في اللباس والدواب ، وهم في هيئتهم وفي مواكبهم شبيهون بالعرب ، يلبسون الأقبية والم ناطق (٤٨)))(٤٩) المصنوعة على الأغلب من قرون حيوانات الكركدن(٥٠)، وتكون هذه المناطق مرتفعة الاثمان ويلبسها الاباطرة وكبار رجال الدولة والاغنياء وتبلغ قيمة الواحدة منها ((الفين وثلاثمائة دينار))(٥١).

وأما النساء فيتمنطقن على الأرجح بمناطق من الحرير أو من القطن أو من الصوف بحسب وضع المرأة ومكانتها الاجتماعية والاقتصادية ، فزوجة الامبراطور أو الوزير أو كبار رجال الدولة تتنمطق بمنطقة أو حزام من أرقى أنواع الحرير ، وزوجة الفلاح أو الحداد تتمنطق بمنطقة من القطن أو الكتان أو الصوف.

وأكثر أهل الصين لا لحى لهم ((خلقة لأكثرهم))(٥٢)، أي هكذا خلقهم الله ﷻ والذي عنده لحية تكون خفيفة . ولايختتنون مثل المسلمين (٥٣)، أما النساء فـ ((يكشفن رؤوسهن، ويجعلن فيها

---

(٤٢) الادريسي: نزهة المشتاق ٨٤/١ ، ٢١٠،
(٤٣) التاجر: الرحلة ص ٣٩.
(٤٤) السيرافي: الرحلة ص ٦٩.
(٤٥) التاجر: الرحلة ص ٤٠، ٥٢.
(٤٦) السيرافي: الرحلة ص ٩٣.
(٤٧) السيرافي: الرحلة ص ٦٩.
(٤٨) المناطق: هي الاحزمة التي يتمنطق بها الرجال. ابن منظور: لسان العرب ٣٥٥/١٠.
(٤٩) التاجر: الرحلة ص ٥٨-٥٩.
(٥٠) التاجر: الرحلة ص ٤٣.
(٥١) التاجر: الرحلة ص ٤٣.
(٥٢) التاجر: الرحلة ص٥٦
(٥٣) التاجر: الرحلة ص ٥٥.

الأمشاط، فربما كان في رأس المرأة عشرون مشطاً من العاج وغير ذلك))(٥٤)، و((نساؤهم يجرين شعورهن))(٥٥)، وهذا هو حال المرأة العادية فما ظنك بالعروس وتجميلها.

ويستعمل أهل الصين أنواع الطيب والعطور، كيف لا وبلادهم من أهم مصادر العطور في ذلك الوقت فهم ((يستعملون أنواع الطيب))(٥٦).

ثم تتم تهيئة سرير مفروش للعروس، وحسب إمكانية العريس المالية، التي تختلف من الريف الى المدينة، فلو أخذنا الوسائد على سبيل المثال، ففي بعض المناطق تحشى بالقطن أو الصوف أو الليف، لكنها تحشى بريش النعام أو الطيور لدى الأثرياء، وكذلك ملابس الزواج تختلف من منطقة لأخرى وحسب حالة الزوج الاقتصادية ، فطرحة العروس تزين بريش النعام أو الطاووس لدى العوائل الغنية ، أما طرحة العرو س الفقيرة فتزين بريش الدجاج الهندي أو غيرها من الريش وتصبغ لتصبح جميلة أو مقبولة.

أما فستان العرس فغالباً ما يكون أبيض ومن الحرير الخالص، لأننا نتحدث عن بلاد الصين المشهورة بانتاج الحرير الذي كان يصدر الى كل أرجاء العالم المعروف في القرون الوسطى ، ويطرز هذا الفستان بخيوط الذهب ((فلهم ثياب الحرير المنسوجة بالذهب))(٥٧).

و ((لباس رجالهم ونسائهم الديباج والحرير المرتفع ، ولباس إمائهم وسفلتهم الحرير الدون ... وهم يتباهون بنظافة الثياب))(٥٨).

وتتم حفلة الزواج في حفل مهيب في القرى والأرياف ، حيث يشارك العروسين فرحتهما كل أبناء وبنات القرية ، وهم في أغلبهم من الاقارب والمعارف ، وتضرب الطبول والمزامير ابتهاجاً بفرحة الزواج، ((ومن ثم يشهرون الزواج، ويكون الإحتفال وقرع الطبول))(٥٩).

و ((يشهرون التزويج بالصنوج (٦٠)والطبول)) (٦١)، وقد أشار ابن بطوطة الى استعمال الأبواق في الاحتفالا ت والمناسبات ((ومعه الاعلام والطبول والابواق والانفار وأهل الطرب))(٦٢)، و((يغنون بالصيني))(٦٣).

---

(٥٤) التاجر: الرحلة ص ٤٠، ٥٢..

(٥٥) التاجر: الرحلة ص ٥٢.

(٥٦) الادريسي: نزهة المشتاق ٨٤/١.

(٥٧) المسعودي: أخبار الزمان ص٩٥.

(٥٨) الحميري: الروض ص ٣٧٢.

(٥٩) التاجر: الرحلة ص ٥٥.

(٦٠) الصنوج: نوع من المعدات التي تستخدم في الحفلات الغنائية وتستخدمها في الوقت الحاضر الفرق العسكرية وهي أشبهبالصحن الكبير من النحاس الرقيق المحدب في وسطة مكان لليد ويكون قطعتين تضرب أحدهما بالأخرى، فتحدث صوتاً موسيقياً قوياً أ و خفيفاً حسب المناسبة (الباحث).

(٦١) التاجر: الرحلة ص ٥٤.

ومن كثرة اهتمامهم بالزينة فانهم يزينون الطرق الى المقبرة بالحرير والديباج((وعندما يحمل الميت الى المقبرة يزين الطريق بانواع الديباج والحرير بحسب حال الميت)) أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق المعروف بابن النديم: الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران ١٣٧١هـ/١٩٧١م، ص ٤١٤.

(٦٢) محمد بن عبد الله اللواتي المعروف بابن بطوطة:الرحلة، دار صادر دار بيروت، للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م،ص ٦٣٧.

(٦٣) ابن بطوطة: الرحلة ص ٦٤٠.

ومن كثرة اهتمامهم بالزينة فانهم يزينون الطرق بالحرير والديباج في مناسبات مختلفة في الاحزان فكيف بالافراح ، فاذا كان هذا حال الميت عندهم فما بالك بالاحتفال بالعر يس والعروس في حفلة الزواج.

وتصل العروس الى بيت العريس يتقدمها الأطفال حاملين أمامها الشموع . أما إذا كانت العروس من قرية أخرى، فيتم نقلها على الخيول أو الجمال ذات السنامين (البختية)، حيث تحمل في الهودج ، ((ودوابهم كثيرة ليس لهم خيل عربية بل غيرها ، ولهم حمير وابل كثيرة لها سنامان))(٦٤)، ومن الطبيعي والمتعارف عليه في كل أرجاء العالم هو مشاركة صديقات ا لعروس أو بعض أقاربها في رحلتها الى بيت الزوج ، فضلاً عن بعض النساء لتخفيف حدة الوحدة عليها ويبقين معها بضعة أيام يؤنسنها ويتابعن احتياجاتها.

أما الزواج في المدن فلا يختلف كثيراً عن الريف ، سوى أنه يضم عدداً محدوداً من الأصدقاء والأقارب، وتكون مصاريف الزواج في المدينة أكثر كلفة وتكلفاً من الزواج في الريف . إذ أن كل شيء في المدينة محسوب ، ففرق الموسيقى تعمل لقاء أجر ، بينما يشارك أهل القرية في الحفل والموسيقى بدون أجر أو تكلف، ولربما كانت فرق الموسيقى والحفلات ترافق العروس في القرى والمدن فقد وصف أهل الصين بانهم ((أهل ملاهي))(٦٥)، كما يتحمل أهل القرية كلفة طعام العرس ، وإن لم يتمكنوا من إعداده على حسابهم ، فعلى الأقل يساعدون أهل العريس في إعداد الطعام وطهيه وإعداد الحلويات، أما في المدن فتكون الأمور أصعب كثيراً من الريف في كل شيء. وبعد إنتهاء مراسم العرس تصبح العروس أحد أفراد البيت الجديد وتشارك زوجها في كل شيء وفي تحمل أعباء الحياة في ذلك الوقت.

أما الامبراطور الصيني فيتزوج بـعدد كبير من الزوجات فله ((مائة زوجة بمهور وأنقاد ((النقدية التي تعطى للعروس بعد العقد وهو غير المهر))(٦٦)، ومتى لم يملك الملك منهم هذه العدة لا يسمى عندهم بملك الملوك ... وبهذين الشيئين من النساء والفيلة يفتخرون على غيرهم من الملوك))(٦٧)، وكان ((أباطرة الصين يَخُصّون زوجاتهم بالمحظيات للقيام بخدمتهن أو التسري بهن))(٦٨)، كما كان الأباطرة يلحقون الخصيان في بلاطهم لخدمة زوجاتهم (٦٩)ولأهل الصين ولملوكها ((عبيد خصيان حسان وخدم بيض))(٧٠)، وكان قسم من هؤلاء الخصيا ن

---

(٦٤) التاجر: الرحلة ص ٤٦.

(٦٥) التاجر: الرحلة ص ٥٤.

(٦٦) الباحث، وهو متعارف عليه عندنا في العراق ق بل أكثر من خمسين عاماً، أما الآن فلا وجود له للأسف الشديد، لأنه يحرم العروس من بعض المال لإكمال احتياجات العرس.

(٦٧) الادريسي: نزهة المشتاق ٢١٢/١.

(٦٨) ماركو بولو: الرحلة، ص١٣٧.

(٦٩) ماركوبولو: الرحلة ص ١٣٧؛

Schafer,Edward:The Golden Peaches of Samarkand,Los Angles,1963 ,p,112.

(٧٠) الادريسي: نزهة المشتاق ١/ ٨٩.

يقدمون هدية اللامبراطور الصيني من ابناء شعبه ((ومنهم من يخصيه والده من أهل الصين فيهديه الى الملك تقرباً به اليه))[٧١].

وإذا ((أراد الملك النوم أو الدخول على . زوجته . أو بعض جواريه ، صعد منجموه سطح البيت الذي هو فيه ورصدوا له الكواكب، وإختاروا له وقت مباشرته إياهن))[٧٢].

ويبدو ان هذا الاجراء كان يتخذ تيمناً بمولود يخلفه في حكم البلاد ، يتوقعون حسن طالعه ، وهي من جملة عادات أهل الصين الوثنية، التي تعتقد بالتنجيم وحسن الطالع.

وقد سعى بعض ملوك الصين الى مصاهرة المسلمين اذ ارادوا مصاهرة الامير الساماني نوح ابن نصر (٣٣١-٣٤٣هـ/٩٤٢-٩٥٤م)، أمير خراسان ورأس الامارة السامانية ويعرف بالامير الحميد [٧٣]، وأشار الرحالة ابو دلف رئيس الوفد الساماني الى هذه الرواية التي نقلها عنه ياقوت الحموي: ((ووجدت عنده رسل قالين ابن الشخير ملك الصين راغبين في مصاهرته طامعين في مخاطبته، يخطبون اليه ابنته، فأبى ذلك لحظر الشريعة له، فلما أبى راضوه على أن يزوج بعض ولده ابنة ملك الصين، فأجاب الى ذلك))[٧٤].

وقد رحب ملك الصين بالوفد الساماني وظلوا في ضيافته أياماً عدة ، ((أقمنا في ضيافته (ملك الصين) حتى نجزت أمور المرأة ، وتمّ ما جهزها به ، ثمّ سلمها الى مائتين خادم وثلاثمائة جارية من خواص خدمه وجواريه وحملت الى خراسان الى نوح بن نصر فتزوج بها))[٧٥].

كما حدث تزاوج آخر بين أهل الصين وسكان بلاد التركستان فبعد حدوث ثورة بالشوا (٢٦٤هـ/٨٧٧م)، وعجز الدولة الصينية عن القضاء عليها ، ((كتب ملك الصين الى ملك التغزغز من بلاد الترك وبينهم مجاورة ومصاهرة ، ووجه اليه رسلاً يسأله كف هذا الرجل ، فانفذ ملك التغزغز ابناً له الى هذا التابع(الثائر) في عدد كثير وجموع وافرة، فأزاله بعد حروب متصلة ووقايع عظيمة))[٧٦] حتى قضى عليه ، وبعد النصر الذي حققه الجيش الذي جاء من بلاد التركستان، طلب امبراطور الصين منهم البقاء في الصين وزاد في اكرامهم وزوجهم بفتيات من الصين، وقد قيل أن عدد هؤلاء الجند كان بحدود ثلاثة آلاف جندي [٧٧]. ويبدو أن هذه النجدة قد جاءت من اطراف الدولة الاسلامية في بلاد التركستان[٧٨].

---

(٧١) السيرافي: الرحلة ص ٦٧.

(٧٢) الحميري: الروض ص ٣٧٢.

(٧٣) طارق فتحي سلطان : الحركة العربية الفكرية في بخارى في القرنين الثالث والرابع للهجرة، مطبعة الرسول، الموصل ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ص ٥.

(٧٤) شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان، دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٥٧م/١٣٧٦هـ،٤٤١/٣.

(٧٥) ياقوت: معجم ٤٤٤/٣.

(٧٦) السيرافي: الرحلة ص ٦١-٦٢؛ ابن الاثير: الكامل ٧ / ٣١٩.

(٧٧) وقد ذكر أن امبراطور الصين قد خاطب الخليفة العباسي لنجدته، وان الخليفة العباسي كتب الى أحد امراء الترك بالتوجه الى بلاد الصين لنجدة امبراطورها والقضاء على هذه الثورة؛ Drake,F,S:Mohammedanism in the Ta'ng Dynasty"Monumeta Serica" 1943,vol,8,pp,9-10

(٧٨) فاسيلي فلاديميروفتش بارتولد: تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، مطابع كاظمة الكويت،١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ٣٤٨-٣٥١.س

كما أرسل أحد ملوك الصين [79]، وهو الامبراطور Shun Ti رسالة الى أحد سلاطين الهند المسلمين، وهو محمد بن تغلق، يطلب منه السماح له ببناء معبد للاصنام في مدينة سمهل [80]، اذ يحج الى هذه المدينة الحجاج الصينيون ، فاعتذر السلطان المسلم عن القيام بالسماح ببناء المعبد المذكور ، وقد أهداه جملة من الهدايا منها مائة مملوك وجارية))[81]، ومن المرجح أن هؤلاء الفتيات الصينيات قد حظين بمكانة متميزة ، ولربما تزوجن من رجال مسلمين في بلاد الهند،لأن الدولة التي أهديت اليها هؤلاء الجواري كانت دولة مسلمة.

ولا يوجد عدد محدد لعدد الزوجات في الصين ويبدو أن الظروف المعاشية للزوج والمكانة الإجتماعية هي التي تحدد عدد الزوجات ((وليس الصين والهند باصحاب فرش ، ويتزوج الرجل في الصين والهند ماشاء من النساء))[82].

حيث أن ((الجواري رخيصات الأثمان، ومن أراد التسري (أو الزواج)، اشترى له جارية وأنفق عليها،... غير أنهم لا يجبرون على السفر مع مشتريهم، ولا يمنعون منه ان اختاروه))[83].

وقد اشار ماركو بولو الى حالة تعدد الزوجات ((ويتخذ سواد الناس... لأنفسهم عدد من الزوجات... حسب قدرتهم على اعالتهن))[84]، ((كما انهم طبقا لشرائعهم وتقاليدهم يستطيعون أن يتزوجوا من النساء ماطاب لهم من عدد، شريطة أن يستطيعوا اعالتهن))[85].

أما بالنسبة لعامة الناس فكان الغالب هو الزواج بإمرأة واحدة، ولو أنه كان هنالك تعدد في الزوجات، ولكن ليس هذا هو الغالب ، ويبدو أن الحالة المعاشية للرجل هي التي تحدد عدد زوجاته.

ويتلقى الولد والبنت التعليم في الصين ((ولا أحد من الصينيين إلا وهو يحفظ أيام عمره، كان شيخاً أو صبياً وكلهم يكتب))[86]، و((لهم في كل مدينة كتّاب ومعلم الفقراء وأولادهم من بيت المال يأكلون))[87]، أما الأيتام فكانت الدولة في الصين تقدم لهم الدعم والرعاية والتعليم ، وكانوا

([79]) ابن بطوطة: الرحلة ص ٥٣٠.؛بدر الدين الصيني: العلاقات بين العرب والصين ص ٢٠٧،٢٠٦.

([80]) سمهل: Samhul منطقة قريبة من جبل كراجيل الحدودي بين الهند والصين يسيطر عليها الآن الجيش الهندي.

([81]) ابن بطوطة: الرحلة ص ٥٣٠.؛

Needham: vol,1 p,215.

Eberhard: p,189.

Bretschnieider ,E.M.D:"Chinese Medieval Notices of Islam,((Muslem World)) vol,19,1929,p53.

بدر الدين حي الصيني: العلاقات بين العرب والصين، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، ط/١، ١٩٥٠م. ص٣٨-٣٩.

([82]) التاجر: الرحلة ص٥٥.

([83]) ابن بطوطة: الرحلة ص ٦٣٢.

([84]) رحلة ماركو بولو: ص٩٥.

([85]) ماركو بولو: الرحلة ص١١٦.

([86]) الحميري: الروض ص ٣٧٣.

([87]) التاجر: الرحلة ص ٥٢.

يوضعون في ملاجيء يتلقون فيها العناية المطلوبة من مأكل وملبس ومشرب ، ((واليتيم أمره الى السلطان في تعليم الكتابه ينفق عليه من بيت مال السلطان، فإذا أدرك أخذ منه الجزية))[٨٨].

ويمكن للعوائل الفقيرة أن تسلم أولادها الى ملاجيء الدولة الرسمية حفاظاً عليهم من الجوع أو الموت أو البيع (ذكوراً وإناثاً)، و ((جميع أهل الصين يبيعون أولادهم وبناتهم))[٨٩]، ويتم تعليمهم أحدى الحرف لكي يكسب الرجل منهم قوت نفسه وعائل ته في المستقبل ويصبح فرداً صالحاً في المجتمع ، ثم يتم تزويجهم من بنات أو أولاد تربوا في هذه الملاجيء أيضاً [٩٠]، ويبدو أن الفتيات أيضاً كن يتعلمن إحدى الحرف لتكون فرداً صالحاً في المجتمع ولتعين زوجها مستقبلاً، وكانت هذه الرعاية منتشرة في كل مدن الصين[٩١].

حقوق الزوجة:

تترتب للمرأة في كل المجتمعات حقوق على الزوج، وكذلك الحال في المجتمع الصيني منها المهر المقدم والمهر المؤجل فضلاً عن القيام بالمحافظة عليها والقيام بواجباتها على اتم وجه ، واحترامها وعدم ضربها أو إهانتها بدون سبب، وتوجيهها للسير على منهاج أسرة ا لزوج، وأن يكن لها كامل الإحترام ، لأنها ستربي أولاده التربية الصحيحة وتعلمهم الآداب والسلوك الجيد وتنشئة الفتيات التنشئة السليمة لخدمة المجتمع فيما بعد.

وهذه الرغبة في الزواج والعفاف من لدن المجتمع الصيني كانت تلقى الدعم من قبل الحكومة الصينية منعاً للإنحرافات السلوكية وظهور البغاء والبغايا في المجتمع الصيني ، وقد جاءت هذه الاخلاق من الديانة الكنفوشية التي حثت على مكارم الاخلاق ، لهذا كانت تفرض على البغايا شروط قاسية جداً ويحرمن من سكنى المدن للمشاكل التي يتسببن بها[٩٢].

والى وقت قريب كانت ((المرأة الصينية يخجلها أن تعرّي قدمها))[٩٣] وهذا مايؤكد قولنا من أن العفة هي الأساس في طبائع المرأة والتي نصّت عليها شرائع الله ﷻ المنزلة على البشر.

بينما لم يرد عن تحديد الاقامة لدى النساء الأخريات أي شيء في القانون الصيني ، كما كانت عقوبة الزنى في الصين للرجل المحصن والمرأة المحصنة هي الإعدام [٩٤] ((وإذا زنت

---

(٨٨) الحميري: الروض ص ٣٧٣.

(٨٩) ابن بطوطة: الرحلة ص ٦٣٢.

(٩٠) المروزي: طبائع الحيوان ص١٢؛ ماركوبولو: الرحلة ص ٢٢٧.

(٩١) التاجر: الرحلة ص ٥٢؛ ماركوبولو: الرحلة ص١٧٩.

(٩٢) ماركو بولو: رحلة ماركو بولو ص١٤٧، الهامش ؛ Eberhard Wolfram: A History of China ,4ed,london,1977 pp215-219

(٩٣) ديورانت: قصة الحضارة،٨٣/١.

(٩٤) التاجر: الرحلة ص٥٤.

المرأة بعد زواجها قتلت هي والزاني ، وحكم الإغتصاب هو قتل المغتصب))[٩٥]، و ((اذا أحضر الرجل منهم امرأة فبغت فعليها وعلى ا لباغي القتل))[٩٦]، و((إن زنى رجل بامرأة اغتصبها نفسها قتل وحده، فان فجر بامرأة على رضى منها قتلا جميعاً))[٩٧]، في حين نجت المرأة المغتصبة من أية عقوبة ، ونظر لها المجتمع في الصين نظرة عطف وحنان .

((ويقتلون على الزنى الا على قوم معروفين))[٩٨].

ويبدو ان هذه القوانين والنظم الاجتماعية هي التي وضعها لهم ملوكهم من قبل ، أو ربما جاءت من الديانة الكنفوشية ، لأن الديانة البوذية لا تحرم الزنى بل تقره في معابدها . وقد اشار الرحالة والجغرافيون المسلم ون الى وجود مهنة البغاء وعليها ضريبة معلومة تؤديها البغي الى الدولة في الصين . كما كان هنالك زنى مقدس وهذا ما كانت تمارسة زواني الاصنام ويدعون ((زواني البددة))[٩٩]، وزنى مدنس وهو الذي يجري خارج المعبد وتفرض عليه الضريبة . ووضعت الزانية في أدنى درجات المجتمع ، وكانت توضع علامات أو إشارات حمراء على دورهن ، ((وجعل على الزناة منهم حداً، وعلى من أراد من نسائهم البغاء جزية مفروضة وأن لايستبحن الا النكاح في وقت من الأوقات، وان أقلعن عما كن تكف الجزية عنهن وما يكون من أولادهم ذكوراً يكون للملك عبيداً وجنداً، وما يكون من أولادهن اناثاً فلإمهاتهن ويلحقن بصنعتهن))[١٠٠].

((والزنا عندهم مباح))[١٠١] و((يبيحون الزنا ولا ينكرون شيئاً منه))[١٠٢] شرط أن تسجل موقفها رسمياً عند الدولة الصينية ((ومن سيرهم أن المرأة إذا لم تكن محصنة وأرادت الفجور ، رفعت رقعة الى الملك تذكر حالها وما ذهبت اليه ، فيبعث اليها حلقاً من نحاس فتجعله في عنقها، ولبست المصبغات، وعملت ماشا ءت علانية، فإذا ولدت الذكور خصوا واستعملهم الملك في داره وأعماله، وإن كان الذي ولدت أنثى كانت على رسم أمها))[١٠٣].

و ((فيهم نساء لايريدون الاحصان ، ويرغبن في الزنى ، وسبيل هذه أن تحضر مجلس صاحب الشرط، فتذكر زهدها في الاحصان ورغبتها في الدخول في جملة الزواني ، وتسأل حملها على الرسم في مثلها، ومن رسمهم . عاداتهم . فيمن أراد ذلك من النساء أن تكتب نسبها وحليتها وموقع منزلها وتثبت في ديوان الزواني، وتجعل في عنقها خيط فيه خاتم من نحاس مطبوع بخاتم

---

(٩٥) التاجر: الرحلة ص٥٥.

(٩٦) التاجر: الرحلة ص٥٤.

(٩٧) التاجر: الرحلة ص ٥٤.

(٩٨) اليعقوبي: تاريخ ١/١٨٣.

(٩٩) السيرافي: الرحلة ص٥٥.

(١٠٠) المسعودي: مروج الذهب ١/١٥٣.

(١٠١) القزويني: آثار ص٤٦

(١٠٢) الحميري: الروض ص ٣٧٠.

(١٠٣) السيرافي: الرحلة ص ٦٥-٦٦؛الحميري: الروض ص٣٧٢.

الملك، ويدفع اليها منشور يذكر فيه دخولها في جملة الزواني، وأن عليها لبيت المال في كل سنة كذا وكذا فلساً ، وان من تزوجها فعليه القتل ، فتؤدي في كل سنة ماعليها ، ويزول الانكار عليها))[١٠٤].

و((هذه الطبقة من النساء يرحن .يخرجن . بالعشيات عليهن الوان الثياب من غير استتار ، فيسرن الى من طرق الى تلك البلاد من الغرباء من اهل الفسق والفس اد فيقمن عندهم وينصرفن بالغدوات))[١٠٥].

حقوق الزوج:

يبدو لنا من خلال ما تقدم ان للزوج على زوجته حقوق منها المادية والمعنوية فالمادية هي إشباع رغبته، وتكوين أسرة بعد ولادة الأطفال وتربيتهم، والمعنوية هي السمع والطاعة له في كل ما يعده المجتمع الصيني حقاً للزوج أو ما يعده الدين الذي تؤمن به العائلة الصينية حقاً للزوج ، وذلك إختلاف المعتقدات الصينية من دين لآخر ، ونرجح ان بعض النساء في الصين قد امتهن حرفة أو مهنة وذلك لمساعدة ازاوجهن في تمشية امور الاسرة ، ولمساعدة زوجها من الناحية المادية، وخاصة الاسر الفقيرة أو المتوسطة الحال.

مكانة المرأة الصينية الاجتماعية:

حظيت المرأة في المجتمع الصيني بمكانة متميزة من حيث الاحترام والتقدير . وحتى فاقت الرجل في المكانة في بعض الأحيان ، وخاصة في المحاكم حيث يعطون الحق للمرأة ((وإن كان بين رجل وإمرأة خصومة كانوا الى المرأة أميل))[١٠٦]، وصان المشرع الصيني المرأة الصينية وحماها من دعاة السوء ومن إلصاق التهم الباطلة بها ((ومن قذف . إمرأة . ضرب بالخشبة ضرباً مبرحاً وخلي سبيله))[١٠٧].

وقد عابت بعض مصادرنا الجغرافية إستباحة أحد الثائرين وهو هانشو لمدينة كانتون التجارية في سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧ م)، وأشارت الى أفعاله السيئة فـ ((إستباح الحريم))[١٠٨]، كما أعطيت المرأة حقوقاً أكثر من الزوج في التركة ((ويورثون الأنثى أكثر من

([١٠٤]) السيرافي : الرحلة ص ٦٥-٦٦؛ ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي : أخبار الزمان، دار الاندلس، بيروت ١٩٦٦م/١٣٨٥هـ، ص٩٥.
([١٠٥]) السيرافي: الرحلة ص ٦٦.
([١٠٦]) المروزي: طبائع الحيوان ص١٢-١٣.
([١٠٧]) الحميري: الروض ص ٣٧٢.
([١٠٨]) الحميري: الروض ص ٢١٠.

الذكور))[١٠٩]، ويبدو أن هذا القانون قد اقرته الدي انتين الكنفوشية والبوذية ، وتمتعت زوجات الأباطرة الصينيين بمكانة متميزة اذ كن يحضرن في الحفلات والمناسبات العامة [١١٠]، وهذه الظاهرة تدل على مكانة المرأة واحترامها من قبل أعلى جهة في الدولة الصينية.

وكان من تقاليد حفظ الأمن في المدن الكبيرة والعاصمة خاصة ، هو منع التجول ليلاً ، ولم يكن يسمح بالخروج إلا في حالات الضرورة القصوى ، كطلب قابلة أو طبيب [١١١] وتأكيداً لهذه المكانة للمرأة الصينية ، ومكانتها في المجتمع وحرصهم عليها ، كانوا لا يسمحون لها بمغادرة بلادهم مهما كانت الظروف، وحتى لمرافقة زوجها الأجنبي الذي تزوجته في بلادها، بل يسمحون للرجل بأخذ أولاده فقط ، ((وإذا تزوج الواحد منهم اليهم ، وأراد الانصراف، قيل له : دع الأرض وخذ البذر ، فان أخذ المرأة سراً ، وظهر عليه ، أغرم غرماً له مبلغ قد اصطلحوا عليه ، وحبس وربما ضرب))[١١٢]، لكن هذا القانون كما يبدو قد تغير في زمن الرحالة ابن بطوطة اذ قال : ((غير أنهم لايجبرون على السفر مع مشتريهم ولا يمنعون منه ان اختاروه))[١١٣]، ونرجح أن السبب الرئيس لهذا القانون ، هو إعطاء مكانة متميزة للمرأة الصينية لرفع مكانتها في المجتمع الصيني وفي غيره ، فضلاً عن جعل المرأة الصينية مركز جذب لإستقرار الأجانب وخاصة التجار ومنهم المسلمين في الصين ، فبعد أن يتزوج التاجر بالمرأة الصينية وتنجب له الأولاد، فيكون إرتباطه بها أقوى ، مما تجعله يستقر في بلاد الصين ، بدافع الحفاظ على أسرته التي حماها القانون الصيني، وبالتالي تكسب الدولة الصينية خبرات هذا التاجر ، وإمكاناته الإقتصادية وخبرته بالسماح له بالاستقرار في الصين ، مع ثروته ومع ما يلحقه هذا الاست قرار في تأسيس وكالات تجارية لأبناء بلد هذا التاجر المستقر في الصين ، فضلاً عن التحاق عدد آخر من سكان بلده به، اذا استقر وأصبحت له مكانة في أية مدينة في الصين.

لكن هذا القانون كما يبدو قد تغير في زمن الرحالة ابن بطوطة اذ قال : ((غير أنهم لا يجبرون على السفر مع مشتريهم ولا يمنعون منه ان اختاروه))[١١٤]، ومن بين الذين سمح لهم بالزواج من النساء الصينييات هم التجار المسلمون ، ومن الطبيعي أن تلحق زوجة المسلم بدين زوجها، وهذا ما لم يمانعه القانون الصيني ، إذ ترك ذلك لحرية المرأة في إختيار الدين الذي ترغب فيه ، فأصبحت الكثير من النساء الصينيات مسلمات ، لكن كانت هنالك عادة وهي أن

(١٠٩) الحميري: الروض ص٣٧٠؛ المسعودي:أخبار الزمان ص٩٥.

(١١٠) بروي: تاريخ الحضارات ٣٧٢/٣.

(١١١) ماركو بولو: الرحلة ص١٤٧ الهامش رقم ١٣.

(١١٢) ابن النديم: الفهرست، ص ٤١٤.

(١١٣) ابن بطوطة: الرحلة ص٦٣٢.

(١١٤) ابن بطوطة: الرحلة ص ٦٣٢.

يُلْحِقْ الرجل المتزوج من صينية ، إضافة إسم عائلتها الى إسم ه[115]، و((كان يسمح للتاجر المسلم بالزواج إن أراد ذلك))[116]، ((من أراد التزوج تزوج))[117].

وكان عقد الزواج للتاجر المسلم يثبت في سجل التجار المست قرين في الصين، لدى قاضي المسلمين في مدينة كانتون، ((وذكر سليمان التاجر أن بخانفوا (كانتون Canton) وهو مجمع تجار البحار رجلاً مسلماً يوليه صاحب الصين الحكم بين المسلمين الذين يقصدون الى تلك الناحية، نائباً عن ملك الصين، وذلك اذا كان في العيد صلى بالمسلمين ، وخطب ودعا لسلطان المسلمين، وان التجار العراقيين لا ينكرون في ولايته شيئاً من أحكامه وعمله بالحق وبما في كتاب الله ﷻ واحكام الاسلام))[118].

وهنا لابد لنا من وقفة أمام هذا النص، وهو لماذا يذكر المؤلف عدم إنكار العراقيين لأحكام هذا القاضي، ولم يذكر غيرهم من المسلمين، وما علاقة هذا القاضي بهم ، وهل أن هذا القاضي مخول من الخليفة العباسي فضلاً عن إمبراطور الصين، أم أن القضاة والفقهاء لابد وأن يكونوا من العراق بلد الخلافة العباسية وبلد الفقه والفقهاء . ونرجح أن العلاقة الوثيقة بين بلاد الصين والعراق مقر الخلافة العباسية كان له أثر في هذه المكانة التي يتمتع بها التجار المسلمون من العراق في الصين وفي غيرها من البلدان الإسلامية وغيرها، فضلاً عن الثقل الذي يشكله تجار العراق في قبول أو رفض إجراءات هذا القاضي واحكامه التي يصدرها ، وكثير منها يتعلق بالافتاء في بلد بعيد مثل الصين في ذلك الوقت.

ومن الطبيعي أن يتولى القاضي المسلم الأمور الشرعية الرئيسة من زواج وطلاق وميراث وغيرها من الأمور التي تخص هذه الوظيفة . ولكن كانت هنالك ثغرة في القانون الصيني من ناحية رعاية المرأة، فالموظف المتقاعد عن العمل كان يعطى نصف ما كان يتقاضاه أثناء عمله وهو نوع من الضمان الإجتماعي ، لكن بعد وفاة هذا الموظف لا يعطى لأرملته أي راتب ، بل تحرم من تقاعده الذي كان يتقاضاه قبل وفاته[119].

ولا نعرف المبرر الذي استند عليه المشرع الصيني بهذا الخصوص ، لأنه يترك المرأة المسنة أو الزوجة بدون تقاعد أو ضمان اجتماعي ، وهذا اجحاف بحق المرأة في بلد كبير مثل الصين وله تراث زاخر في الرعاية الاجتماعية (المرأة، الشيخ، الأطفال وتعليمهم، رعاية الأيتام)، كما مرّ بنا من خلال البحث . ويبدو أن حصة المرأة في الميراث وهي أكبر من حصة الذكر ، كان لها الدور الرئيس في حجب راتب زوجها التقاعدي عنها.

(١١٥) كنيث ومورغان : الاسلام الصراط المستقيم، ترجمة محمود عبد الله يعقوب، مراجعة نور الدين الواعظ، مطبعة دار التضامن، بغداد،ط/٢ ١٩٦٦م، ١٧٥/٢.

(١١٦) ابن بطوطة: الرحلة ص ٦٣١-٦٣٢.

(١١٧) ابن بطوطة: الرحلة ص ٦٣٢.

(١١٨) سليمان التاجر: رحلة سليمان التاجر، ص ٣٤.

(١١٩) Eberhard: op.cit,p219.

الخاتمة:

من خلال ما تقدم يمكن أن نستنتج جملة امور منها:

١ – شكل الزواج في بلاد الصين في القرون الوسطى ، احد الروابط القوية التي أدت الى تماسك المجتمع الصيني وجعله رباطاً مقدساً وهذا ما اكدته الديانة الكنفوشية.

٢ – اكد المجتمع الصيني على ضرورة تجنب الزواج م ن داخل القبيلة الواحدة وهذا ادعى لصحة النسل وتجنب الأمراض الوراثية التي أكدها الطب الحديث.

٣ – تمتعت المرأة الصينية بمكانة متميزة عن أقرانها في العصور الوسطى في المجتمعات غير الإسلامية، فلو قارنا مكانة المرأة الصينية مع المرأة الهندية لوجدنا بوناً شاسعاً في مك انة المراة الصينية عن مثيلتها في الهند.

٤ – أعطى القانون الصيني مكانة متميزة للمرأة الصينية في حق الإرث مثلاً.

٥ – لم يكن المجتمع الصيني منغلقاً على نفسه بل سمح للمرأة الصينية بالزواج ممن تشاء من الرجال، ولم يمانع القانون الصيني زواج الأجانب من المرأة الصينية بل ر حب به، وجعل من المرأة الصينية نقطة جذب للأجانب للإقامة في بلاد الصين.

مصادر ومراجع البحث :

القرآن الكريم.

المصادر :

المراجع :

المصادر:

١) ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ابن الاثير : الكامل في التاريخ، دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٢) ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ط/١ ١٩٩٤م.

٣) ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، دار صادر ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م

٤) محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس مطبعة هيرلبرغ، ط/٤، بيروت ١٩٨٤م.

٥) السيرافي : رحلة السيرافي الى الهند والصين واندنوسيا ، مطبعة دار الحديث بغداد ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.
٦) سليمان (التاجر): رحلة سليمان التاجر،مطبعة دار الحديث، بغداد، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م
٧) الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل : كتاب المختصر في أخبار البشر ، دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٦٠م/١٣٨٠هـ.
٨) زكريا بن محمد بن محمود القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٠هـ /١٩٦٠م
٩) ابو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الاندلس للطباعة والنشر بيروت، ط/١، ١٩٦٥م.
١٠) شرف الدين بن طاهر المروزي: طبائع الحيوان، نشر مينورسكي، لندن ١٩٤٢م.
١١) أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق المعروف بابن النديم : الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران ١٣٧١هـ/١٩٧١م،.
١٢) ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت، ط/٦، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
١٣) شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان ، دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٥٧هم/١٣٧٦هـ.
١٤) احمد بن ابي يعقوب اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٠م/١٣٧٩هـ.

المراجع:

١) فاسيلي فلادميروفتش بارتولد : تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، مطابع كاظمة الكويت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٢) أدوارد بروي: تاريخ الحضارات ، ترجمة يوسف اسعد داغر ، منشورات عويدات ، بيروت، ط/١٩٦٥،١م..
٣) عبد الكريم الأشتر : دعبل الخزاعي حياته وشعره ، دار الفكر دمشق ، ط/١، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.
٤) ماركو بولو : الرحلة، ترجمة عبد العزيز جاويد ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م.
٥) ول دايريل ديورانت: قصة الحضارة، بيروت دار الجيل ط/١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٦) أبكار السقاف : الدين في الهند والصين وايران، مؤسسة الانتشار العلمي ، بيروت، ط/١ ٢٠٠٤.

٧) طارق فتحي سلطان : العرب والصين في القرون الوسطى ، مطبعة العلا ، ط/١، الموصل، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م.
٨) طارق فتحي سلطان : الحركة ا لعربية الفكرية في بخارى في القرنين الثالث والراب ع للهجرة، مطبعة الرسول، الموصل ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٩) اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٣م.
١٠) كنيث ومورغان: الاسلام الصراط المستقيم، ترجمة محمود عبد الله يعقوب ، مراجعة نور الدين الواعظ، مطبعة دار التضامن، ط/٢، بغداد ١٩٦٦م.
11) Bretschneider, E, m, D "Chinese Medieval Noties of Islam" ((Moslem World)) vol., 19, 1929.
12) Eberhard Wolfram: A History of China, 4ed, london, 1977.
13) Schafer, Edward: The Golden Peaches of Samarkand, Los Angles, 1963.